

فيها أمام مخيلته صور الآلهة. فاضطرب لهول الرؤية وهتف يخاطب ذاته : " الآن نفسي قد اضطربت ! وماذا أقول؟ يا أبتاه أنقذني من هذه الساعة ! ولكن لأجل هذه الساعة قد جنت. أيها الأب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء: قد مجدته وسأمجده أيضاً. وسمع الجمع الواقف هناك فقالوا: هو رعد ! وقال آخرون : قد كلمه ملاك ! فأجاب يسوع وقال: ليس من أجلي كان هذا الصوت بل من أجلكم". أي ليكون لكم دافعاً إلى الإيمان ، إذ ترون فيه شهادة الله لابن البشر وشخصه ورسالته إليكم. " الآن دينونة هذا العالم . الآن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً. وأنا متى رُفعت من الأرض اجتذبت إليّ الجميع".

لقد كان إبليس حتى ذلك اليوم رئيساً لهذا العالم بروحه الفاسدة. أما الآن فمملكته تتحطم وعلى أنقاضها سيقوم ملكوت الله بدم المسيح على الصليب. لأن المصلوب سوف يحرر النفوس من أسر إبليس ثم يجذبها إليه.

فاجابه الجمع : " لقد علمنا من الناموس أن المسيح يثبت إلى الأبد. فكيف تقول أنت : ينبغي أن يُرفع ابن البشر؟ من هو ابن البشر هذا؟ فأجاب يسوع : إن النور معكم بعد إلى حين" إشارة إلى أشعيا النبي الذي يدعو المسيح " نور الأمم" – " فسيروا ما دام النور معكم لئلا يغشاكم الظلام لأن من يمشي في الظلام لا يديري إلى أين يذهب فما دام النور معكم فأمنوا بالنور لتكونوا أبناء نور".

وكان المساء قد أقبل فخرج يسوع وتلاميذه من الهيكل وأخذوا طريق بيت عنيا لبيبتوا ليلتهم هناك عند نخبة من أبناء النور.

تحت نظر الفريسيين الواقفين يراقبون المعلم وينفتون سم حقدهم فيما يتبادلون من نظرات وملاحظات، أقبل نفر من أولئك اليونانيين الدخلاء على فيلبس الذي كان ولا ريب يعرف اليونانية لنشأته في بيت صيدا وفي الجليل قريبا من الأوساط اليونانية في إيطورية والعشر المدن وتراخونيتس " يا سيد نرغب في أن نرى يسوع". وهل من مانع يمنعمهم من رؤية يسوع أو التقرب منه؟ ربما كانوا يظنون أن يسوع لا يعرف غير الآرامية، لغة الشعب في فلسطين، أو أنه واحد من أولئك الفريسيين الشديدي التعصب، وكانوا كثرأ في أورشليم. إلا أن فيلبس لم يشأ أن يحمل وحده تجاه معلمه تبعة تلبية هذا الطلب أو عرضه على الأقل. فففاوض مع اندراوس وجاء الاثنان وقالوا ليسوع لا يذكر يوحنا وهو وحده الذي كتب عن الحادث نتيجة الطلب. ولكننا نعلم أن يسوع لم يرد قط نفساً طيبة سليمة، ويرى فيها شيئاً من الاستعداد لقبول كلمة الله. غير أن الإنجيلي حفظ لنا خلاصة ما قاله يسوع في هذه الفرصة، وكله يدور حول موته الفدائي، وثمار هذا الموت في النفوس: " لقد حانت الساعة التي يمجّد فيها ابن البشر ! الحق الحق أقول لكم : أن حبة الحنطة التي تقع على الأرض إذا لم تمت فإنها تبقى وحدها، وأما إذا ماتت فإنها تأتي بثمر كثير. من أحب نفسه فانه يهلكها، ومن أبغض نفسه في هذا العالم فانه يحفظها للحياة الأبدية. إن شاء احد أن يخدمني فليتبعتني، وحيث أكون أنا فهناك أيضاً يكون خادمي. إن كان احد يخدمني فأبي بكرمه..."

وتوقف يسوع لحظة تتابعته